رؤية نقدية لتطوير الجامعات في العالم العربي في ضوء التحديات المعاصرة

تتفق كل دول العالم على أهمية التعليم العالي لذلك فهي تسعى لمعرفة أداء أنظمتها مقارنة بالآخرين. ويمكّن القياس الدولي لأنظمة التعليم العالي من معرفة المزيد عن مواطن القوة والضعف. وحتى نعالج إشكالية تطوير نظام التعليم العالي في العالم العربي لا بد من قياس أدائه ومقارنته بغيره، ما يساعد على التشخيص الصحيح للوضع الحالي وإعطاء السيناريوهات المناسبة لإصلاح النظام الجامعي العربي.

إن معالجة موضوع تحسين نظام التعليم العالي يجرنا إلى الحديث عن معايير ضمان جودته في مختلف النواحي العلمية والتربوية والإبداعية والفكرية، ولا يمكن إجراء تحسينات ترفع من أداء الجامعات العربية إلا بدراسة نقاط الضعف الموجودة في مختلف المعايير والمؤشرات. ولعل أهم المعايير التي يمكن الاعتماد عليها لتطوير نظام التعليم العالي العربي التركيز على الأبعاد التالية: التدريس ومناهجه، البحث العلمي، خدمة المجتمع.

المتداول حاليا هو أن تقويم أداء الجامعات، يأخذ عدة معايير من ضمنها مخرجات أعضاء هيئة التدريس، من ناحية المنشورات والبحوث. ولكن، هل هذا كاف للتعبير عن أداء أعضاء هيئة التدريس؟ بالطبع لا، فهو يضع في وضع غير موات أولئك الأساتذة الذين تحققت إنجازاتهم الأكاديمية في مجالات أكثر إبداعًا أولئك الذين إنجازاتهم الرئيسية كانت في التدريس. والأمر الأكثر إثارة للقلق هو أن هذا التقويم يتجاهل "أنشطة المهمة الثالثة"، حيث يتفاعل أعضاء هيئة التدريس مع المجتمع المحلي، ويتصدون للتحديات الاجتماعية، ويساهمون في نقل المعرفة الجامعية إلى السوق، ونشر المعرفة على الجماهير غير الأكاديمية. مع تزايد أهمية أنشطة المهمة الثالثة للجامعات، تحتاج المزيد من الجامعات العربية إلى دمجها في إجراءات التقييم

الخاصة بها، حتى تحتضن كل تغير سياسي واقتصادي واجتماعي في المجتمع، لا أن تكون الجامعات بعيدة عن واقع مجتمعها.

يجب ألا تتضمن معايير الأداء في الجامعات إنتاج البحوث فحسب، بل تشمل أيضًا مساهمات أوسع للمجتمع. لذلك، ينبغي لسياسات تقويم أداء الجامعات أن تأخذ بعين الاعتبار تلك الإنجازات المتعلقة بإدارة الجامعة وتطويرها، وإدارة الوحدات الأكاديمية، وتنظيم المؤتمرات، ونقل المعرفة، والحضور الإعلامي، والمشاركة في الأحداث، والالتزامات لخدمة المجتمع والتأثير الاجتماعي.

تشكل معايير التقويم الشاملة وسيلة ضغط على نظام التعليم العالي بمختلف مركباته؛ دافعة إياه إلى تحسين مخرجاته، كما أشارت لذلك نظرية التنبيه Nudge theory لصاحبها ريتشارد ثالر، فإن المعايير لما تصاغ بطريقة فعالة (تستهدف تثمين مواطن القوة وإصلاح نقاط الضعف)؛ فإنها ستعمل على تحفيز أفراد النظام (إدارة الجامعة، أعضاء هيئة التدريس والطلبة) لرفع مستواهم. ونرى من خلال فكرة هذه الورقة البحثية، أن المقصد النهائي للجامعات ينبغي أن يصب في تقديم خدمات للمجتمع المتواجدة فيه.

ستقدم الدراسة رؤية نقدية تحليلية لإعادة النظر في معايير تقويم أداء الجامعات العربية، والمضي بها قدما نحو تأدية وظائفها الحقيقية لخدمة المجتمع بجميع مكوناته ومجالاته.